الرِّسَـــالة ٢٩٣

عَـــامٌ مَضَى.. وعَـــامٌ أقبَـــلَ

(Arabic – Happy New Year)

أحبّائِى.. حَديثَنا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: عَـــامٌ مَضَى.. وعَـــامٌ أقبَـــلَ

ومِنْ المَزمُور التاسع والثلاثينَ نقرأ العَدَدَ الرّابعَ:

"عَرِّفنِى يَا رَبُّ نِهَايَتِى. ومِقدَارُ أيّامِى كَمْ هِى. فأعلمُ كَيْفَ أنَا زَائِلٌ".[١]

اعتادَ النّاسُ الاحتفالَ بالعَامَيْن. يُودِّعُونَ عَاماً بأفرَاحِهِ وأتراحِهِ. وخَيْرُ مَا حَصلوا عليْهِ مِنْهُ أنّهُمْ أحْياءٌ يُرْزَقونَ. إنّهُمْ يَحتفِلونَ بانتِهَاءِ عَام مَحْسُوباً مِنْ أعْمَارِهِمْ. ويَحتفِلونَ باستقبَال عَام جَدِيدٍ. مُضَافاً إلى أعْمَارِهِمْ إنْ شَاءَ اللهَ. والنّاسُ فريقانَ لا ثالِثَ لهُمَا. فريقٌ لهُ عَلاقة حقيقيّة مَعَ اللهِ. والفَريقُ الأخَرُ لمْ يَختَبرْ بَعْدُ العَلاقة الحَقيقيّة مَعَ خَالِقِهِمْ. ومَا أتمنّاهُ أنّ قارئِى العَزيز قدْ بَدَأ تِلكَ العَلاقة أوْ أنّهُ عَزَمَ على بَدئِهَا. فليْسَ مَا يَمْنَعُ إطلاقاً أنْ تكونَ لنَا تِلكَ العَلاقة الصّحيحَة. طالمَا لنَا الرَغْبَة الجَادّة لِنَسْعَدَ بهَا فِى دُنيَانا وفِى آخِرتنَا. والكِتَابُ المُقدّسُ مِنْ تكوينِهِ إلى رُؤيَاه لا يَزيدُ ولا يَنقصُ عَنْ كونِهِ دَعْوَة مِنَ اللهِ للإنسَان أنْ يَأتِىَ إليْهِ. فهِىَ إرَادَتهُ المُعلنَة فِى كِتابِهِ.[٢]

إنّ العَامَ الذِى نَحتفِلُ بنِهَايتِهِ كَانَ نِعْمَة مِنَ اللهِ علينَا. وَهَبَهَا اللهُ لنَا لِنقضيَهَا على الأرْض التِى قالَ لآدَمَ وحَوّاءَ عَنْهَا بَعْدَ أنْ بَارَكَهُمَا: "أثمِرُوا واكثِرُوا واملأوا الأرْضَ وأخْضِعُوهَا". وبكلِّ يقين إن اللهَ سَمَحَ لنَا بعَام جَديدٍ لِنَستمتِعَ بِهِ. وَهُوَ إحْسَانٌ جَديدٌ مِنَ اللهِ لا يُعَادِلهُ إحسَانٌ. إنّ التمَسّكَ بالحيَاةِ هُوَ غَريزَة طبيعيّة خَلقهَا اللهُ فينَا. وخَيْرُ أمْنِيَةٍ نتمنّاهَا لِمَنْ نحِبُّ أنْ يُطيلَ اللهُ حَيَاتهُ. وجَديرٌ بنَا أنْ نفكِرَ لمَاذا نَحْنُ نَعيشُ؟. وأنْ نَنظرَ إلى مَا أنْجَزْنَا فِى العَام المَاضِى. لأنّ ذلِكَ يُعِيننَا على التخطيط لِلعَام المُقبل. لسْتُ أعْنِى بذلِكَ أنْ نَعْملَ كَشْفَ حِسَابٍ لِمَا كَسبْنَا مِنْ أمْوَال وكَمْ خَسِرنَا. ولكِنْ مَا أعْنِيهِ هُوَ مكَاسبُنَا الرّوحيّةِ وتقدُّمُنَا أوْ تأخُرُنَا فِى حَيَاتِنَا الرّوحيّةِ. ومَا المُعطِلاتُ وهلْ تغلبْنَا عليْهَا؟. أمْ مَا زلنَا نعَانِى بَعْضَ المَشَاكِل؟. وليْسَ المَقصُودُ مِنْ عَمل كَشْفِ الحِسَابِ لِنقدِّمَهُ لِهَيئَةٍ مَا. ولكِنْ لأنفسِنَا فِى مَحْضَر الله. وفِى رُوح الصّلاة. وعلى ضَوْء كلِمَةِ الله. وبإرشَادِ الرّوح القدُس لنَا.[٣]

إنّ كَشْفَ حِسَابِ العَام المَاضِى يُوضِّحُ لنَا مَا قدّمْنَا مِنْ إحْسَان لِلآخَرينَ قدْ عَادَ عليْهِمْ بالنَفع فندَاومَ عليْهِ. ومَا قصّرْنَا فِى تأديتِهِ لِنعَالجَهُ. ومَا ارتكبنَاهُ مِنْ أخْطَاءٍ سَبّبَتْ ضَرَراً. ربّمَا نتجَ عَنْهُ مَا أصَابَ الآخَرينَ وأسَاء إليْهِمْ. فنتعِظ ونَعتبرُ ونَعترفُ ونتوبُ. وتِلْكَ خُطوَة أولى تليهَا النَظرُ إلى العَام المُقبل لعلنَا نكتشِفُ طريقاً أفضلَ لِحياةٍ أفضلَ. تأتينَا بنتائِجَ أفضلَ لِنتجنّبَ الأخْطاءَ المَاضيَة. لأنّ العُمْرَ وَاحِدٌ لا يتكَرّرُ وأيّامُنَا مَحْسُوبَة لا تعَوّضُ.[٤]

كَانَ دَاوُدُ النّبىُّ يُنَاجِى ربّهُ بالمَزْمُور التاسع والثلاثينَ. لقدْ كَانَ مُتمتِعاً بعَلاقةٍ حَقيقيّة قويّة مَعَ الله. وعلى أسَاسِهَا كَشَفَ دَاوُدُ النّبىُّ مَا يَدُورُ فِى أعْمَاق قلبِهِ مِنْ تسَاؤلاتٍ قائِلاً: "عَرِّفنِى يَا رَبُّ نِهَايتِى. ومِقدَارُ أيّامِى كَمْ هِى. فأعلمُ كَيْفَ أنَا زَائِلٌ". وكأنّى بدَاوُدَ النّبىِّ يَسألُ سُؤالاً وفِى نفس الوقتِ يَعْرِضُ إجَابتهُ. وهذا دليلٌ على تبَادُل ودٍّ مَعَ ربِّهِ مُنقطع النظير. وبالتأمُل فِى كلِمَاتِ المَزْمُور نَستطيعُ أنْ نكتشِفَ أمُوراً جَوْهَريّة نوجزُهَا فِى ثلاثةٍ:

أوّلاً: مِنَ الحِكمَةِ أنْ يَعْرِفَ الإنسَانُ مَا هِىَ نِهايتهُ.. إنّ دَاوُدَ النّبىِّ فِى مَزْمُورِهِ التاسِع والثلاثينَ يَرجُو أنْ يَعْرِفَ نِهَايتهُ ونِهَايَة أيّامِهِ. ولكِنّهُ يقولُ فِى العَدَدِ التالِى بالمَزْمُور: "هُوذا جَعلتَ أيّامِى أشْبَاراً وعُمْرِى كَلا شَىْءَ قدّامَكَ. إنّمَا نَفخَة كلُّ إنسَان قدْ جَعلَ. إنّمَا كَخَيَالٍ يتمَشّى الإنسَانُ". فإذا كَانَتْ أيّامُ الإنسَان تقاسُ بالشّبْر. وعُمْرُ الإنسَان كَلا شَىْءٍ فِى نَظر اللهِ الأزلِىِّ الأبَدِىِّ. فمِنَ الحِكمَةِ أنْ نطلبَ الثابتَ الأبَدِىّ الذِى يَدُومُ. ونتعَرّفَ على

---

[١] سفر المزامير ٣٩: ٤ ، استمع إلى الإنجيل
[٢] سفر أخبار الأيام الثانى ٧: ١٤ ، إنجيل متى ١١: ٢٨ ، سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ٣: ٢٠
[٣] سفر التكوين ١: ٢٨
[٤] سفر حزقيال ٣٣: ٩ – ١٢

الضَامِن الكَفِيل القادِر الذِى يُحقِقُ لنَا مَا نَرْجُوهُ. لقدْ قالَ بُطرُسُ الرّسُولُ برسَالتِهِ الثانيَةِ الأصْحَاح الثالِث: "ولكِنْ لا يَخْفَ عليكمْ هذا الشّيْءُ الوَاحِدُ أيّهَا الأحبّاءُ أنّ يَوْماً وَاحِداً عِنْدَ الرّبِّ كَألفِ سَنَةٍ وألفَ سَنَةٍ كيَوْم وَاحِدٍ".[1]

ولقدْ قالَ صَاحِبُ المَزْمُور التاسِع عَشَرَ بَعْدَ المِائَةِ: "غَرِيبٌ أنَا فِى الأرض". حِكمَة ليْتنَا نضعَهَا فِى الاعتبَار. لِمَاذا نَضَعُ رَجَاءَنَا فِى عَالم أيّامُنَا فيهِ تقاسُ بالشّبْر؟. إنّ زَوَالنا مِنَ على الأرْض أمْرٌ أكيدٌ لا شكّ فيهِ. فنَحْنُ غُرَبَاءُ عليْهَا. لقدْ قالَ كَاتِبُ الرِّسَالةِ إلى العبْرانيِّين الأصْحَاح الحَادِى عَشَر عَنْ أبْطال الإيمَان الذينَ عَبَرُوا نَهْرَ الحَيَاةِ واستقرُّوا فِى الوَطن الأفضلَ: "فِى الإيمَان ماتَ هؤُلاء اجْمَعُونَ. وَهُمْ لمْ يَنَالوا المَواعيدَ. بلْ مِنْ بَعيدٍ نَظرُوهَا وصدّقوهَا وَحيُّوهَا. وأقرُّوا بأنّهُمْ غُرَبَاءُ ونُزَلاءُ على الأرْض".[2]

ثانياً: الإنسَانُ يَدّخرُ ذخَائِرَ ولا يَدْرِى مَنْ يُضمُّهَا.. قالَ الرّبُّ يَسُوعُ فِى المثل المَذكورُ بإنجيل لوقا الأصْحَاح الثانِى عَشَرَ لِجَمْع مِنَ النّاس كَانوا يَسْمَعُونَهُ، أنّ إنسَاناً غَنيّاً أخْصَبَتْ أرْضُهُ ففكرَ فِى نفسِهِ قائِلا: "مَاذا أعْملُ؟. لأنْ ليْسَ لِى مَوْضِعٌ أجْمَعُ فيهِ أثمَارى. وقالَ أعْملُ هذا: أهْدِمُ مَخَازِنِى وأبْنِى أعْظَمَ. وأجْمَعُ هُنَاكَ جَميعَ غَلاتِى وخَيْرَاتِى. وأقولُ لِنفسِى: يَا نفسُ لكِ خَيْرَاتٌ كثيرَة مَوْضُوعَة لِسنينَ كثيرَةٍ. استريحِى وكلِى واشْرَبِى وافرحِى. فقالَ لهُ اللهُ: يَا غَبِىُّ هذِهِ الليلة تطلبُ نفسُكَ مِنْكَ!. فهذِهِ التِى أعْدَدْتَهَا لِمَنْ تكونُ؟". ولقدْ وَجّهَ الرّبُّ يَسُوعُ نَصيحتَهُ لِلجَمْع قائِلاً: "انظرُوا وتَحفظوا مِنَ الطمَع. فإنّهُ متى كَانَ لأحَدٍ كثيرٌ فليْسَتْ حَيَاتهُ مِنْ أمْوَالِهِ". فليْتَ قلوبُنَا وعُيُوننَا تتَحَولُ عَنْ ذخَائِر العَالم. وليتنا نتطلعُ بقلوبنَا وأنْظارنَا إلى ذخَائِر السّمَاءِ. قالَ الرّبُّ يَسُوعُ فِى مَوْعِظتِهِ على الجَبل المَذكورَة بإنجيل متى الأصْحَاح السّادِس: "لا تكنِزُوا لكمْ كنوزاً على الأرْض. حَيْثُ يفسِدُ السُوسُ والصَدَأ وحَيْثُ يَنقبُ السّارقونَ ويَسْرقونَ. بلْ اكنِزُوا لكمْ كنوزاً فِى السّمَاءِ. حَيْثُ لا يُفسِدُ سُوسٌ ولا صَدَأ. وحَيْثُ لا يَنقبُ سَارقونَ ولا يَسْرقونَ. لأنّهُ حَيْثُ يكونُ كَنزُكَ هُنَاكَ يكونُ قلبُكَ أيْضاً".[3]

ثالِثاً: الإنسَانُ هُوَ (١) نَفخَة.. (٢) غَريبٌ.. (٣) نَزيلٌ.. لقدْ قالَ دَاوُدُ النّبىُّ فِى مَزْمُورِهِ: "إنّمَا كلُّ إنسَان نَفخة".. وجَاءَ برسَالةِ يَعقوب الأصْحَاح الرّابع: "أنتمْ الذين لا تعرفونَ أمْرَ الغَدِ. لأنّهُ مَا هِىَ حَيَاتِكمْ؟.إنّهَا بُخَارٌ يَظهَرُ قليلاً ثمّ يَضْمَحِلُّ". وجَاء بسِفر أيُّوب الأصْحَاح السّابع قوله مخاطبا ربّهُ: "قد ذبْتُ. لا إلى الأبَدِ أحْيَا. كفّ عنّى لأنّ أيّامِى نَفخَة". إذا كَانَتْ أيّامُنَا نَفخَة كَما قالَ رَجلُ اللهِ أيّوبُ. وإذا كَانَتْ أيّامُنَا أشْبَاراً كَما قالَ دَاوُدُ النَبىُّ. أوَليْسَ مِنَ الغَبَاوَةِ أنْ نَقضِىَ العُمْرَ نكنِزُ كنوزاً أرْضيّة؟. ونَهْدِمُ مَخَازنَ لِنَبْنِىَ أعْظمَ مِنهَا. لِنَجْمَعَ فيهَا جَميعَ غَلاتِنَا وخَيْرَاتِنَا؟. وفِى لحْظَةٍ مُعَيّنَةٍ لا نَدْرِى متى تكونُ. تطلبُ نفوسُنَا مِنّا. فهذِهِ التِى أعْدَدنَاهَا لِمَنْ تكونُ؟.[4]

إنّ المُؤمِنَ يُدْرِكُ أنّ أيّامَهُ نَفخَة. هذا بالقيَاس إلى الأبَديّةِ التِى سَيَحْيَاهَا فِى النّعيم مَعَ الرّبِّ يَسُوعَ. لأنّهُ يُؤمِنُ أنّ الأبَديّة لا تحْسَبُ بالأيّام والشّهُور والسِنِينَ. فمَا قيمَة حِسَابِ الزّمَن بالأيّام والشّهُور والسِنِينَ فِى الأبَديّةِ. والحَيَاة الأبدية بالنِّسبَةِ لنَا لهَا بدَايَة ولكنْ ليْسَ لهَا نِهَايَة. إنّ المُؤمِنُ يُدْرِكُ أنّهُ غَريبٌ هُنَا. لأنّ بقاءَهُ هُنَا مَحْدُودٌ وَسَينتقِلُ آجلاً أوْ عَاجلاً لِلوَطن السّمَاوِىِّ الأفضل. المُؤمِنُ يُدْرِكُ أنّهُ نَزيلٌ فِى أرْض لنْ يَمتلِكهَا إلى الأبَدِ. ولقدْ جَاءَ برسَالةِ بُطرُسَ الرّسُول الأولى الأصْحَاح الأوّل قولهُ: "مُبَارَكٌ اللهُ أبُو ربّنَا يَسُوعَ المَسيح. الذِى حَسَبَ رَحْمَتِهِ الكثيرَةِ ولدَنَا ثانيَة لِرَجَاءٍ حَىٍّ بقيَامَةِ يَسُوعَ المَسيح مِنَ الأمْوَات. لِميرَاثٍ لا يفنَى ولا يتدنّسُ ولا يَضْمَحِلُّ. مَحفوظ فِى السّمَوَاتِ لأجلِكمْ. أنتمْ الذينَ بقوّةِ اللهِ مَحْرُوسُونَ. بإيمَان لِخَلاص مُستَعِدٍّ أنْ يُعلنَ فِى الزّمَان الأخير".[5]

ليتكَ أخِى تشتَرِكُ مَعِى فِى تِلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوِىّ.. أشكرُكَ مِنْ أجل عَام مَضَى. غَمَرتنِى فيهِ بإحْسَانِكَ. أشكرُكَ مِنْ أجل عَام أقبلَ. أنْتَ فيهِ رَفيقِى الدّائِمُ. امْلأنِى برُوحِكَ رَبِّى. وهَبْنِى نِعْمَة كَىْ أعْملَ مَا يُرضيكَ. أرفعُ صَلاتِى فِى اسْم يَسُوعَ فادِىّ. مُتمَسِكاً بوَعْدِكَ يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يقبلْ إلىّ لا أخْرِجْهُ خَارجاً.

أخِى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالةِ أوْ غَيرهَا ستجدُ ذلِكَ فِى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] رسالة بطرس الرسول الثانية ٣: ٨
[2] سفر المزامير ١١٩: ١٩ ، الرسالة إلى العبرانيّين ١١: ١٣
[3] سفر المزامير ٣٩: ٦ ، إنجيل لوقا ١٢: ١٥ – ٢٠ ، إنجيل متى ٦: ١٩ – ٢١
[4] رسَالةِ يَعقوب ٤: ١٤ ، سفر أيوب ٧: ١٦
[5] رسالة بطرس الرسول الأولى ١: ٣ – ٥